

الحرف وتنظيم الأسواق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني Crafts and Market Organization in Algiers during the Ottoman Era

(1) د. صبرينة لنوار (جامعة تيبازة)

(1) D. Sabrina Lenouar (University of Tipaza)

المؤلف المرسل: د/ صبرينة لنوار Lenouar Sabrina البريد الإلكتروني: s.lenouar@univ-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2026 /06/10

تاريخ القبول: 2026/06/ 04

تاريخ الاستلام: 2026/03/ 25

الملخص :

شكلت مدينة الجزائر (المحروسة) خلال العهد العثماني مركزاً اقتصادياً وتجارياً حيوياً في حوض البحر الأبيض المتوسط. تميزت المدينة بتنظيم محكم للأنشطة الاقتصادية، حيث كانت الأسواق والحرف تعكس الازدهار الحضري لم تكن الأسواق مجرد أماكن للتبادل التجاري، بل كانت مراكز إشعاع اجتماعي. توزعت الأسواق في "المدينة السفلى" القريبة من الميناء (للنشاط التجاري الخارجي) و"المدينة العليا" (للاحتياجات المحلية). كما اعتمد النشاط الحرفي على نظام "الطوائف"، حيث كان لكل حرفة تنظيم خاص يقوده "أمين السكة" أو "أمين الحرفة". والتدرج المهني يبدأ الحرفي كمتعلم (مبتدئ)، ثم صانع، وصولاً إلى مرتبة "معلم" بعد إثبات كفاءته. اشتهرت الجزائر بصناعة النسيج، الجلود (البلغة)، الأسلحة والسيوف المنقوشة، والنحاسيات، بالإضافة إلى الصناعات الغذائية. فقد كانت الحرف اليدوية هي الركيزة الأساسية للإنتاج، حيث برز دور كل من الأتراك الذين نقلوا خبرات تنظيمية وعسكرية وصناعية مرتبطة باحتياجات الدولة والإيالة. الأندلسيون الذين أحدثوا ثورة في فنون الصناعة، ونقلوا تقنيات متطورة في النسيج، الجلود، الخزف، وتطير المعادن، مما أدى إلى إثراء الموروث الحرفي المحلي وتطويره.

الكلمات المفتاحية: مدينة الجزائر ، العهد العثماني ، الحرف ، الجماعات الحرفية ، الأسواق ، المحتسب .

Abstract:

During the Ottoman era, Algiers (Al-Mahrousa) flourished as a Mediterranean commercial powerhouse. The city's urban layout was divided into the "Lower City" for maritime trade and the "Upper City" for local needs. Economic life revolved around a sophisticated "Guild" system (Al-Tawa'if) that regulated various crafts. Each guild was overseen by a Master (Amin), ensuring strict professional standards and organization. Artisans followed a rigid hierarchy: starting as Apprentices, becoming skilled Journeymen, and finally Masters. The city gained fame for specialized industries like textiles, leatherwork, weaponry, and copperware. Two major groups heavily influenced production: the Turks and the Andalusians. The Turks contributed military-industrial expertise and organizational skills to the Regency. The Andalusians revolutionized the arts with advanced techniques in ceramics, leather, and embroidery. Together, these influences created a rich artisanal heritage that defined Algiers' economic prosperity.

Keywords: Algiers; the Ottoman Era; Crafts ; Craft Guilds; Souks , Al-Muhtasib

1. مقدمة :

تمثل الفترة العثمانية محطة جوهريّة في تاريخ الجزائر الحديث، ليس فقط لكونها امتدت لأكثر من ثلاثة قرون، بل للدور المحوري الذي لعبته الجزائر كإيالة فاعلة في حوض البحر الأبيض المتوسط. لقد شهدت هذه الحقبة تحولات ديموغرافية واجتماعية عميقة، كان أبرزها الوجود التركي وتدفق الهجرات الأندلسية (الموريسكيين) نحو السواحل الجزائرية، بالتوازي مع تصاعد الضغوط والحملات الأوروبية. في خضم هذه المتغيرات، برزت مدينة الجزائر كمركز اقتصادي وحضري نابض، حيث شكلت الأسواق والنشاط الحرفي الركيزة الأساسية للحياة اليومية والتنمية الاقتصادية. وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع الحرف والمهن في المدينة، من خلال استقصاء مدى مساهمة العناصر الوافدة — من أتراك وموريسكيين — في إثراء الموروث الحرفي وتطوير تقنياته.

كما اعتبرت مدينة الجزائر إحدى أبرز الحواضر المركزية في حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث استمدت ثقلها الاستراتيجي من حيوية نشاطها التجاري وتكامل منظومتها الاقتصادية. وقد مثلت الأسواق الشريان الحيوي لهذه المدينة، وفضاءً رحباً للتبادل التجاري والاجتماعي، ومركزاً لتصريف المنتجات المحلية واستقطاب السلع الوافدة من الشرق وأوروبا. وأمام هذا الدور المحوري، عمدت السلطة العثمانية إلى إرساء نظام رقابي صارم شمل ضبط الأسعار وتنظيم المعاملات المالية عبر تعيين موظفين متخصصين. هذا المشهد التنظيمي الدقيق، استقطب اهتمام الرحالة والدبلوماسيين الأوروبيين من أمثال "هايدو"، "بايسونال"، "فونتير دي برادي" و"دوغرامون"، الذين قدموا في مؤلفاتهم أوصافاً إثنوغرافية وتاريخية دقيقة. ومن هنا تبرز الإشكالية: إلى أي مدى نجحت هذه الشهادات الأجنبية في رصد ملامح التنظيم التجاري بمدينة الجزائر؟ وما هي الآليات الرقابية والإدارية التي وثقها هؤلاء الرحالة للإشراف على هذه الفضاءات الاقتصادية؟

2. النشاط الحرفي في مدينة الجزائر

1.2 تطور البنية الحرفية :

سكان المدينة اعتماداً على أوضاعهم الاقتصادية و امتيازاتهم و مكاسبهم المادية جعلت المصادر التاريخية تصفهم على أساس أنهم طوائف ذات انتماء مهني و إداري، فمن حيث المهنة كان ينظر إليهم على أنهم مجموعة طوائف متميزة على رأس كل طائفة أمين يسهر على شؤونها و يكون واسطة بينها و بين الحكام ، كما أن نفس العامل الاقتصادي جعل الدولة تنظر إلى سكان المدن على أنهم جماعات من الموظفين الأجراء و العمال و البحارة و التجار و الحرفيين (الصناع).⁽¹⁾

شهدت مدينة الجزائر منذ القرن الخامس عشر ميلادي حركية حرفية لافتة، وثقها المؤرخ "ديغو دي هايدو" في كتابه، مؤكداً أن المدينة كانت تزخر بنشاطات صناعية تغطي كافة الاحتياجات الحيوية لسكانها.⁽²⁾ لعب الوافدون الأندلسيون دوراً محورياً في هذا المشهد؛ حيث لم يكتفوا بنقل خبراتهم، بل استحدثوا صناعات جديدة وطوروا الحرف القائمة بمقاطعة الجزائر. وقد تميز هذا النشاط بكونه موجهاً لغرضين أساسيين تلبية احتياجات الاستهلاك المحلي ، و تعزيز الروابط الاقتصادية مع الأقطار الإسلامية المجاورة.⁽³⁾

كما ساهمت فئات اجتماعية متنوعة في هذا الرخاء الاقتصادي، شملت إلى جانب الأندلسيين كل من الحضر واليهود. واتخذ النشاط الحرفي تنظيماً مكانياً دقيقاً: **الورشات المنزلية** : كانت أغلب الصناعات تتم في ورشات بسيطة تقع في الطوابق الأرضية للمنازل، مع تخصيص أبواب تطل مباشرة على الأزقة لتسهيل العرض والبيع. **التجمعات المتخصصة** : عرفت المدينة بنظام "الحومات" أو الأزقة المتخصصة، حيث يتجمع أصحاب الحرفة الواحدة في سوق خاص بهم، مثل: (سوق الغزل، النجارين، العطارين، الصباغين، الحدادين، الرصايسية، والشقماقجية أو صناع الأسلحة).⁽⁴⁾ خضع النشاط الحرفي لتنظيم إداري محكم عُرف بمصطلح "الجماعة". كانت هذه الهيئة

هي المسؤولة عن: ضبط معايير الجودة والقبول في الحرفة. تحديد أسعار المنتجات الصناعية. تنظيم العلاقة القانونية والإدارية بين السلطة (الدولة) وأرباب الحرف.⁽⁵⁾

ولإعطاء صورة حول طبيعة النشاط الحرفي في مدينة الجزائر و تطور البنية الحرفية من حيث عدد الحرف و اندثار بعضها اعتمدنا على الدراسة التي قامت بها الاستاذة عائشة غطاس حول الجماعات الحرفية إنطلاقاً من وثائق المحكمة الشرعية ، و سجلات بيت المال ، و دفاتر التركات .⁽⁶⁾

كما قامت بمقارنة الجماعات الحرفية بمدينة الجزائر أواخر القرن 17 م الواردة في كل من دفتر التشريعات و قانون على الأسواق مع الدراسة التي قامت بها انطلاقاً من الوثائق الأرشيفية. واستخلصت الدراسة الأمانة التي اشتملت على سبعة وعشرين أمينا.⁽⁷⁾

والجدير بالذكر أن هذه القائمة أهملت عدداً لا يستهان به من الجماعات الحرفية ، إلا أنه يفهم من الإشارات التي صاحبته أن الأمر يتعلق بالحرف الخاضعة لسلطة شيخ البلد ، و بناءً على هذا فإن باقي الجماعات الحرفية الأخرى خضعت لسلطة أمنائها. بينما يفيدنا قانون على الأسواق بقائمة الجماعات التي قدمت الضرائب المستحقة عليها 1112 هـ / 1700-1701 م وهي تشمل ثمانين و ستين جماعة.⁽⁸⁾ أما القائمة التي وضعتها عائشة غطاس في دراستها شملت تسعا و تسعين حرفة اشتملت على أغلب ما تحتاجه المدينة من منتجات مختلفة .⁽⁹⁾

ويتبين لنا من خلال الدراسة أنه لم يطرأ على عدد الحرف خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر تغير كبير ، حيث تحكمت عدة أسباب تقنية و أخرى اقتصادية و اجتماعية في تطور البنية الحرفية ، بل نشاهد تدهور بعض الصناعات مثل صناعة الشاشية ، و غياب بعض الصناعات الكمالية حتى في مجال صناعة الحلويات و السكريات سوى حرفة واحدة هي الحلوجية ، كما تزايد عدد الجماعات الفرعية التي عنيت بالخدمات .⁽¹⁰⁾

2.2 التنوع الحرفي في المصادر التاريخية:

عرفت مدينة الجزائر مجموعة كبيرة من الجماعات الحرفية فقد مارس سكانها عدة نشاطات حرفية فمثلا هايدو يذكر في كتابه عدة حرف منها الصياغة ، البناء ، الأحذية ، الملابس ، الدباغة ، سراج ، السلال ، الأسلحة ، البارود .⁽¹¹⁾ و ذكر **venture de Paradis** حرف أخرى منها صناعة الشاشية ، الأحزمة الحريرية المطرزة بالفضة و الذهب ، صناعة الجلود ذات اللون الأصفر والأسود و البنفسجي و الأحمر لصناعة الأحذية ، النعل ، و جزدان (دزدان) ، الحايك ، البرنوس .⁽¹²⁾ كما أن الأندلسيون أدخلوا صناعات جديدة على مدينة الجزائر منها : صناعة الأقمشة ، و نسج أنواع رفيعة من الزرابي و اختصوا في صناعة الشاشية ، صباغة الأقمشة و الأصواف ، صناعة التطريز و توشيع الثياب الحريرية بخيوط الذهب و الفضة ، الشبيكة ، صناعة الصابون و المستحضرات العطرية ، المياه المقطرة من الورود و زهور اللارنج ، صناعة المجوهرات و الحلبي .⁽¹³⁾

الصنائع و الحرف :

النشاطات الحرفية في مدينة الجزائر عرفت تنوع كبير من حيث تعدد الصنائع ، فقمنا بتصنيف أهمها في الجدول التالي انطلاقاً من القائمة التي وضعتها عائشة غطاس رغم صعوبة التمييز بين الجماعات التي عنيت بالإنتاج و تلك التي عنيت بالتسويق ، لأن بعضهما قام بالعملين معاً في حين يسهل فرز الجماعات التي اختصت في الخدمات كالدلالين و الحمالين و العساكين ، و في الجدول التالي قمنا بتصنيف أهم الحرف .⁽¹⁴⁾

حرف انتاجية	حرف تخص الخدمات	حرف تخص التجارة و التسويق
البحارين	الجيارين	الحواتين
النجارين	البنائين	الدلالين
الجواجية	الصباغين	الوزاعين
الحلوانجية	الترابين	الصباغين
الخباطين	الفنداقجية	العطارين
الغرابلية	الحدادين	بائعي الخضّر و الفواكه
الدباغين	الحفارين	الكواشين
المكاحلية	الحفافين	اللبانين
الصياغين	الحمالين	اللحامين
العطارين	الزبالين	السكاكرية
السراجين	الزواقين	الفخارين
الفخارين	الزياتين	
السكاكرية	الأطباء	
الشماعين	الطباخين	
الفلكجية	القهواجية	
الشواشية	الجنازين	
القزازين		
الطرازين		
المقاييسية		
اللبانين		
الشقماقجية		
الحجارين		

من بين هذه الحرف هناك بعض الصنائع والحرف الإنتاجية اكتسبت أهمية كبيرة من حيث توسع مجال استعمالها من قبل الحرفيين ومساهمتها الكبيرة في الإنتاج وتغطية السوق المحلية بالمنتجات نذكر منها:

● صناعة الأسلحة :

أهمها صناعة البارود و البنادق بدار النحاس التي تضم فرنا واحداً متين البناء و قالبا يصب فيه الحديد المذوب الذي يوضع في حفرة قبالة فتحة يسيل منها ، وتستعمل رافعة وضعت فوق هذه الحفرة لإستخراج القوالب و القنابل ووراشات حدادة و أفران تضع فيها

قذائف بعضها من الحجم الكبير جداً ، و بالقرب من معمل الأسلحة (دار النحاس) توجد دار البارود المجهزة بأدوات متقنة الصنع .
و لم تشهد صناعة الأسلحة تطوراً يذكر بسبب ندرة المواد الأولية والمعارف التقنية المحدودة في مجال تهيمن عليه الدول الأوروبية .⁽¹⁵⁾

● صناعة الجلد و الصباغة :

توجد ورشتي عمل للدباغة واحدة داخل مدينة الجزائر عرفت بدار الدباغة للعناصر البلدية ، و الثانية خارج أسوار المدينة خاصة بالعناصر التركية .⁽¹⁶⁾ الجلود تحضر و تلون في أحواض مقامة بالجهات القريبة من المدن لصناعة السروج و الأحذية و القطع الجلدية المختلفة .⁽¹⁷⁾ كما استعملوا عدة ألوان مثل الأصفر ، الأسود ، البنفسجي ، الأحمر.⁽¹⁸⁾

● صناعة النسيج :

توجه الصوف المحضرة بمدينة البليدة لصناعة شاشيات مدينة الجزائر ، و يصنع منها الأنسجة الموجة للتجارة صناع مدينتي الجزائر و البليدة المختصين في صناعة الشالات ، أو شحة الشاشيات و الأغطية . أما نسيج الحرير ينفرد به بعض الصناع بمدن الجزائر الذين أتقنوا صناعة الحياك الحريرية الجميلة التي يكثر عليها الطلب ، و يستورد الحرير من بلاد المشرق .⁽¹⁹⁾

● الطحين ، الزيت ، الصابون ، السكر ، الملح :

تمثل أهم الصناعات الغذائية ، و قد أقيمت شبكة متكاملة من الطاحونات المائية و الهوائية بالمدن و الأرياف ، و تكفي الطاحونات خارج المدن لتلبية الحاجيات الاستهلاكية ، و قد كانت أهم هذه المنشآت الواقعة بفحوص مدينة الجزائر و في أغلب الأحيان تلحق بها أفران لطهي الخبز ، و توجد أهمها خارج باب عزون و يتم تحضير السكر في طاحونة أقيمت بالقرب من الحامة .⁽²⁰⁾

● صناعة الجير و القرميد و الجبس و لوح الحجر :

تستخدم هذه المواد للبناء في المدن و الأرياف على حد سواء ، و يتم تحضير هذه المواد في أفران واقعة بالجهات القريبة من المدن خاصة مدينة الجزائر نظراً لعادة السكان بتبيض بيوتهم بالجير مرة كل سنة . توجد تجمعات ثلاثة للأفران بفحوص مدينة الجزائر بالقرب من محاجر باب الوادي و بتافورة، بالقادوس

و تختص بطهي الآجر و الأواني الفخارية و قطع خزفية تستعمل في قنوات الري . و صناعة الخزف تشمل عدداً من الأدوات ذات الإستعمال اليومي منها: الجرار - أوعية الماء و الحليب و الزيت - الطناجر التي تحضر فيها فطائر الخبز - القدور - الصحون - الأواني التي تخزن فيها المون .⁽²¹⁾

● صناعة الحدادة و معالجة المعادن و الخشب و النجارة :

تفنن في هذه الصناعة أندلسيو مدينة الجزائر خاصة، فاستخدموا في صناعة الأثاث النقوش المطعمة بالعاج فيما صنعوه من خزائن وصناديق وموائد مختلفة، وأسرة و أبواب و غيرها.

3.2 البنية التنظيمية للجماعات الحرفية :

أ-أمين الأمناء : يتصدر هرم التنظيم من مسؤولياته مراقبة الأسواق و كل ما يتصل بها من أوزان و مكييل ، و يصبح دوره شبيها بدور المحتسب فوظيفته وظيفة حكومية يجمع فيها بين عدة سلطات ، إذ هو المشرف و المسؤول على سجلات الحكومة الخاصة بالنشاط الحرفي ، و النظام الضريبي الذي تخضع له الجماعات الحرفية .⁽²²⁾

ب- الأمين : يمثل السلطة العليا للحرفة و رمز وجودها يتم اختياره من قبل رفقاءه من ضمن المعلمين الذين يتصفون بالأمانة وحسن الأخلاق و معرفة أصول الحرفة ، و تعيينه لا يكون إلا بعد موافقة و إقرار أعلى سلطة الممثلة في الباشا أو الداي وبحضور القاضي . ومن صلاحيات الأمين النظر في جميع المسائل و الأمور المتعلقة بالحرفة و هو ملزم بالتقيد بالعرف واحترام التقاليد و تطبيق المساواة بين أعضاء جماعته ، و في المقابل يتعين على أعضاء الجماعة عدم معارضته أو الإختلاف حوله و احترامه . فهو يقوم بدور الرقيب على الصناعة و جودة البضائع ، و يعتبر حامي الصناعة و حارسها . وتبدأ عملية الرقابة من أول مرحلة أي بدءاً باستخدام المواد الخام إلى غاية آخر مرحلة وهي إنجاز البضاعة ، و تهدف مهمته إلى حماية الصناعة من جهة و إلى حماية المستهلك من جهة أخرى.⁽²³⁾

ج- المعلم الأوسط : أطلق على مكتسب الحرفة و متقن الصناعة و رئيس الورشة الذي يشتغل تحت أوامره الصناع " المعلم " أو " الأوسط " الأول استعمل من قبل العناصر المحلية ، و الثاني من قبل الأتراك . المعلم له حق إقامة مشغل خاص به يشغل فيه عدداً من الصناع و الأجراء تحت سلطته و إشرافه .⁽²⁴⁾

د- الصناع : و هو الذي يحسن الصناعة و لكنه لم يكتسب مهارة المعلم ، و قد شكل الصناع أعلى نسبة من المشتغلين في الورشة فهم أكثر عدداً من المعلمين أو المبتدئين . فتح أمامهم المجال لممارسة الحرفة في ورشات قبل الإرتقاء إلى رتبة معلم .⁽²⁵⁾

هـ- المتعلم : هو المتدرب بالصناعة و يأتي في أسفل الهرم ، و قد يبقى هذا الأخير مستخدماً في الورشة و يتقاضى خلالها أجراً معيناً كما يقوم المعلم بالإنفاق عليه من حيث المأكل و المشرب و سائر لوازمه التي يحتاجها في المصنع .⁽²⁶⁾

3. الأسواق في مدينة الجزائر من خلال المصادر الأجنبية

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني نشأة الأسواق الحضرية داخل النسيج العمراني في أكبر شوارعها التي امتدت من باب الواد إلى بابا عزون في مساحة واسعة، عرفت بالسوق الكبير لأن معظم المحلات التجارية والأسواق تتمركز فيه.⁽²⁷⁾ فقد وصفها هايدو أنها العمود التجاري الرئيسي وشريان المدينة التجاري، تعرض فيها مختلف السلع ،⁽²⁸⁾ إلى جانب الحواضر والمراكز العمرانية المستقرة، شهدت الخارطة الاقتصادية الجزائرية ظهور أسواق سنوية كبرى، شكلت نقاط التقاء استراتيجية للتكامل بين الأقاليم المتباينة تضاريسياً ومناخياً. وقد لعبت هذه الأسواق دور "الرئة الاقتصادية" التي تتيح تبادل فوائض الإنتاج بين المناطق الجبلية والسهلية. منطقة بوسعادة : كانت تمثل همزة وصل حيوية، حيث يقصدها سكان مناطق بني عباس ومجانة لعرض منتجاتهم من "الزيت"، مقابل الحصول على "الصوف" من المناطق الرعوية والسهلية، في عملية مقايضة تعكس احتياجات كل بيئة. إقليم قسنطينة وبلاد القبائل : اتسمت العلاقة التجارية بينهما بالنشاط المستمر، حيث كان تجار وأعيان إقليم قسنطينة يستوردون كميات ضخمة من الشمع والزيت من المرتفعات الجبلية في بلاد القبائل، نظراً للجودة العالية لهذه المنتجات في تلك المناطق. إن هذه الأسواق لم تكن مجرد ساحات للبيع والشراء، بل كانت تظاهرات اقتصادية واجتماعية تركز الوحدة التكاملية بين مختلف المكونات الجغرافية للبلاد، وتضمن تدفق السلع الضرورية من زيت وصوف وشمع عبر مسارات تجارية عريقة .⁽²⁹⁾

كشفت دراسة مخطوط ألبير ديفولكس عن ملامح دقيقة للتنظيم التجاري في مدينة الجزائر إبان العهد العثماني، حيث ارتكزت الحركية الاقتصادية على ثلاث ركائز أساسية (محاور كبرى)، يتصدرها محور "باب عزون - السوق الكبير"، الذي لعب دوراً حيوياً في

الربط المباشر مع الميناء، مما جعله الشريان الرئيس للتدفقات السلعية. وبخلاف التجمعات التجارية المركزية، تميزت الأسواق المتخصصة في المدينة بطابع "التناثر المجالي"؛ إذ توزع الحرفيون والتجار في أحياء المدينة بناءً على تخصصاتهم المهنية (نظام الطوائف الحرفية). وفي هذا السياق، برز "شارع القصبة" كأهم المحاور الحضرية والتجارية على الإطلاق، حيث كان يمتد من "باب الوادي" صعوداً نحو "حصن القصبة الجديد" الذي شيده العثمانيون في أعلى المدينة. وقد احتضن هذا المحور، وتحديدًا في منطقة "شارع الجنينة"، مرافق اقتصادية هامة منها سوق الجمعة: الذي كان في أصله سوقاً دورياً يقام كل يوم جمعة قبل أن يستقر كمعلم تجاري. دار الصوف التي مثلت منشأة استراتيجية لتخزين وتداول مادة الصوف، مما يعكس أهمية الصناعات النسيجية في تلك الحقبة.⁽³⁰⁾

وشارع باب الجديد في بدايته منطقة عطارين اليهود، ثم يلي ذلك منطقة "السمانين" سوق السمن، ثم منطقة "الكسكسية" بائعي الكسكسي، ثم بائعي الفواكه بسوق السمن، ويليهما سوق الكتان.⁽³¹⁾ وبين باب الجديد بداية من شارع باب عزون أمام مسجد ميزمورطو نجد سوق الخضارين، وبه منطقة "الكبابطية" التي كانت تسمى منطقة "الحلفاويين" نسبة إلى نبات الحلفاء، تليها زنقة الحليب، ومنطقة "حزارين اليهود"، الأسكافيون، وصانعي الأحذية، وبه كذلك سوق الملح. وبه ساحة صغيرة تسمى "رحبة القمح".⁽³²⁾ ويأتي بعد ذلك السوق الكبير الذي كان يمتد إلى غاية البوابة الرئيسية باب عزون، والمنطقة المحاذية له تسمى "سوق الملح"، يليها "سوق الدلالة" أي البيع بالمزاد العلني، وفي باب السوق نجد سوق "البلاغجية"، الخياطين، اللوح والسمن.⁽³³⁾

شارع الديوان يبدأ من شارع باب عزون، جامع كتشاوة ثم يأتي في آخر الشارع سيدي الولي دادة، وكانت تحت ساباط الديوان على يسار الداخل من شارع باب عزون بوابة تفتح على ساحة كبيرة، تؤدي بواسطة باب آخر على شارع باب عزون، وقد كان يحد هذه الساحة من إحدى جهاتها حائط قصر الجنينة، وظهور المحلات التي تفتح باب عزون، وكانت الساحة سوقاً لبيع البص الفاكهة والخضروات، لذلك أطلقت عليها اسم سوق الديوان، وكان به سوق "الشبارلية" أو صانع أحذية النساء ثم سوق السمن، وبه سوق اللحامين، وقد كان هذا المكان محاطاً بجوانيت يملكها بنو ميزاب ويبيعون فيها اللحم والخفاف.⁽³⁴⁾

احتوى السوق الجديد الذي أعيد بناؤه من طرف علي باشا وبأموال البايك 1756م على خمسين حانوتاً لذلك سمي بذلك، ثم نجد سوق المقاييسية ومنطقة الصاغة التي كانت محلات يستغلها اليهود لبيع الحلي والذهب،⁽³⁵⁾ وعند متابعة المنحدر نحو باب البحر نجد قبل دخولنا في الرواق الذي يعلوه مسجد الحواتين شارعاً قصيراً لكنه واسع يسمى "الجمماجية" كان مخصصاً لبائعي الأسلحة.⁽³⁶⁾ البادستان يتكون من أربع ممرات أو أروقة متعامدة تحصر بينها شكلاً مستطيلاً من المحلات، وتتوزع المحلات الأخرى على الجوانب الأخرى من الأروقة. وقد كانت الحوانيت الستة وثلاثون كلها في الطابق الأرضي.⁽³⁷⁾

لم يكن توزيع الأنشطة التجارية داخل المدينة القديمة وليد الصدفة أو العشوائية، بل خضع لمخطط دقيق ارتكز على محددات اقتصادية واجتماعية وبيئية صارمة. فقد شغلت المهن المربحة والأنشطة التي لا تخل بنظافة المكان (كالمنسوجات، الحلي، والعطارة) قلب المدينة ومركزها التجاري. كان هذا التمرکز يهدف إلى تسهيل وصول النخبة والقاصدين لهذه السلع الثمينة، والحفاظ على المظهر الجمالي والاجتماعي لمركز المدينة. و في المقابل، تم ترحيل الحرف والأنشطة التي تسبب تلوثاً بصرياً أو بيئياً أو روائح كريهة (مثل الدباغة، والحدادة، وتجارة الفحم) إلى أطراف المدينة أو خارج أسوارها. كان هذا الإجراء يمثل وعياً مبكراً بمفهوم "التخطيط البيئي" لحماية السكان من

الإزعاج والتلوث. يقدم المؤرخ "ديفولكس" مثلاً تطبيقاً على هذا النظام؛ حيث أشار إلى وجود ساحة صغيرة عند "باب عزون" كانت تُعرف بـ "رحبة الفحم". ومع تطور التوسع العمراني والاعتبارات التنظيمية، نُقل هذا النشاط (سوق الفحم) إلى خارج الأسوار تماماً في الفترة ما بين 1549 و1550م، وذلك لكونه نشاطاً "ملوثاً" لا يتناسب مع التطور العمراني داخل المدينة.⁽³⁸⁾ إن الحرف الرفيعة مثل الضاغة والسجادين تقام في وسط المدينة قرب المسجد الأعظم، في حين المهن المنبوذة أو القذرة مثل ذبح الماشية، الدباغة، كانت تقام في المواقع المحاذية للأسوار أو خارج بوابات المدينة.⁽³⁹⁾ كانت بعض الشروط البيئية تتحكم في تمركز بعض الصناعات ومنتجاتها، لاعتبارات اجتماعية كالصوت المزعج والرائحة الكريهة وخان الأفران، وتقل بعض المنتجة وأوساخ المواد الأولية، لذلك تقام في مساحات قليلة الكثافة السكانية خارج المدينة كالفخارين والدباغين واللحامين... إلخ، كما كانت أسواق الحبوب تقام بجوار الأبواب حيث تتوفر المساحات المناسبة لاستعمالها وتخزينها.⁽⁴⁰⁾ و يعكس هذا التنظيم فلسفة حضارية جمعت بين تعظيم الربح الاقتصادي (في المركز) والحفاظ على جودة الحياة والصحة العامة (بإبعاد الملوثات)، مما جعل المدينة وحدة متوازنة ومنظمة بدقة .

1.3 التنظيم المهني للأسواق:

جاءت الأسواق في مدينة الجزائر مقسمة حسب الحرف ولنشاط واحد فكل واحدة خصص لها حي أو رواق خاص، مما سهل على الناس الشراء، مع ضمان الرقابة على الأسعار والجودة.⁽⁴¹⁾ كما سبق وأشرنا من خلال كتاب ديفولكس تعددت الأسواق حسب الحرف منها: الكسكسية (بائعي الكسكسي)- السمن - سوق الكتان - دار الصوف - دار الصابون الخزازين اليهود (إسكافيون وصانعو الأحذية) - سوق الملح - رحبة القمح، رحبة الفحم - الحرارون (صانعو الحرير) - البلاغجية - سوق اللوح - سوق الخياطين - سوق الخضر والفواكه - سوق الشبارلية (صانع أحذية النساء) - سوق اللحامين - الصاغة (الذهب) . كان شارع باب عزون شاهداً على تنوع الأنشطة التجارية والأسواق من سوق الحدادين مروراً بعربات المنتجات الغذائية حتى قيسرية السوق المركزي التي كانت القلب التجاري الموصول بمواقع حراسة خاصة،⁽⁴²⁾ مهد هذا التقسيم لتسهيل التجارة والرقابة على الجودة والأسعار حيث أصبحت لكل حرفة تجمعات مهنية، (ما يشبه النقابات) يتحكمون في كل ما يخص الإنتاج، البيع داخل سوق كل حرفة.⁽⁴³⁾ كما خلق تنظيم الحرف عند أبواب المدينة مراكز اقتصادية ثانوية على شكل أسواق صغيرة بالنسبة للمراكز الرئيسية مما كان يدفع الفلاحين الذين كانوا يأتون بمنتجاتهم لبيعها في أسواق المدينة على الإقامة في هذه الضواحي بالقرب من الأبواب في منازل بسيطة تبني بمواد رخيصة،⁽⁴⁴⁾ وكانت أسواق الحبوب تقام بجوار الأبواب حيث تتوفر المساحات المناسبة لاستعمالها وتخزينها.⁽⁴⁵⁾

2.3 الدعم اللوجستي:

كان التجار يشكلون الطبقة الخامسة من مجتمع مدينة الجزائر يتشكلون من الأتراك، الأعلاج وأبنائهم، واليهود الذين اعتنقوا الإسلام، إضافة إلى التجار الأجانب من الإنجليز ومرسيليا، جنوة، نابولي . البندقية، القسطنطينية، الذين قدموا إلى مدينة الجزائر بهدف عرض منتجاتهم في أسواقها⁽⁴⁶⁾، لذلك قامت الدولة ببناء فنادق لإيواء التجار والمخازن للبضاعة، كما تم ربط الأسواق بالميناء لتسهيل نقل السلع وتسويقها.

ولقد ذكر ديفولكس بعض الفنادق على سبيل المثال في باب عزون فندق العزارة كان يستعمل كزريبة في الأسفل بالإضافة إلى محلات لبيع الأحزمة وبعض السلع الأخرى التي كانت تستورد من تلمسان، وفندق الزيت كان يتألف من ثلاث طوابق يسكنها صانعو

الحرير، وفي شارع الديوان نجد به ثلاث فنادق أحدهما يسمى فندق المحتسب.⁽⁴⁷⁾ فقد اعتبرت الفنادق مقرا للتجار الأجانب، ومخزنا لبضائعهم، وكانت بها مقاهي ومصلى، حتى أن بايسونال ذكر أن بعض الحرفيين اليونانيين وبعض الأسرى منهم أيضا كان لهم راهب من بلادهم يقيم لهم شعائرهم الدينية.⁽⁴⁸⁾

3.3 تنوع المنتجات ووفرته:

شهدت حركة التبادل التجاري نشاطاً كبيراً، حيث تصدر الإنجليز القائمة كأكثر الأوروبيين فاعلية وتوصلاً، وتركزت وارداتهم بشكل أساسي على المواد الخام والمنتجات التصنيعية والعسكرية، ومن أبرزها: الأقمشة الصوفية المعادن الأساسية (الحديد، الرصاص، النحاس، القصدير)، الأسلحة. أما الإسبان، فقد انحصرت مساهماتهم التجارية في سلع استراتيجية واستهلاكية محددة شملت الملح والخمور، المستخلصات الملونة والذهب. وفيما يخص مدينة مرسيليا، فقد كانت مورداً رئيسياً للمواد الكيميائية والمعدنية الدقيقة والزيوت، وتضمنت قائمتها الفولاذ والمسامير والحديد، المواد المتفجرة والكيميائية (ملح البارود، الكبريت، الشب)، زيت الزيتون. بينما تميزت التجارة القادمة من جنوة ونابولي بطابع الرفاهية والصناعات الحرفية ومنها الحرير المغزول والأقمشة الدمشقية الفاخرة، الصابون الأبيض. شكلت القسطنطينية مركزاً لتوريد السلع الشرقية والمنسوجات التراثية، والتي شملت الأقمشة الكتانية وأقمشة العمام، القفاطين والأحزمة والملابس الجاهزة، الصناعات الحرفية الدقيقة مثل الخناجر الدمشقية والملاعق المنحوتة.⁽⁴⁹⁾ إضافة إلى السلع المحلية كالقمح، الشعير، الأبقار، الجمال، الماعز، الصوف، الزيت، الزبدة، العسل، الزبيب، التمر، الحرير.⁽⁵⁰⁾

4.3 إدارة الأسواق:

لم تكن الأسواق مجرد فضاءات للتبادل التجاري، بل شكلت وحدات إدارية استراتيجية خضعت لرقابة صارمة من قبل الدولة لذلك كانت لها أهمية إدارية كبيرة إذ خضعت لرقابة باعتبارها فضاء مؤثراً في توجيه الرأي العام ومركزاً لتجمعه، ولذلك كانت الدولة آنذاك تعين ممثلين من مختلف القبائل للتواصل مع الرعية، ومتابعة أوضاعها وأفكارها، خاصة وأن الأسواق كثيراً ما كانت منطلقاً لحركات التمرد مثل ثورة الدرقاة.⁽⁵¹⁾ كان تنظيم الأسواق في مدينة الجزائر تحت إشراف إدارة شؤون المدينة عبر موظفين يتم تعيينهم من طرف الحاكم، تعددت مهامهم لكنها كانت فعالة ومباشرة في خدمة سكان المدينة والتجارة:

المحتسب:

شغل "المحتسب" دوراً محورياً في النظام الإداري الإسلامي، حيث تلخصت مهامه في الرقابة العامة على الأسواق وضبط المعاملات التجارية. شمل ذلك التحقق من سلامة الموازين والمكاييل، وضمان جودة السلع، والالتزام بالأسعار المحددة لمنع الغش والاستغلال. كما امتدت صلاحياته لتشمل التنظيم المدني عبر صيانة الطرقات وإزالة العوائق التي تعرقل حركة المرور، وصولاً إلى الرقابة الأخلاقية والشرعية التي تضمن استقامة السلوك العام وأداء العبادات،⁽⁵²⁾ وكان مقره في ساحة سوق الديوان.⁽⁵³⁾ و يساعد ناظر السوق القاضي الذي كان ينظر في المخالفات والأحكام المتعلقة بالمبادلات التجارية وفق القوانين والإجراءات المعمول بها رسمياً، والتي أصدرتها الحكومة، فإذا اخترقها

التجار عوقبوا عقاباً مريراً، وربما علقت أجسادهم على باب عزون.⁽⁵⁴⁾ و على سبيل المثال حول هذه الإجراءات ما ذكره هايدو في كتابه حيث كان يمنع التجار الأجانب من شراء جلود الحيوانات والشمع من الأهالي وبيعها من المسيحيين إلا بإذن من الباشا.⁽⁵⁵⁾

شيخ البلد:

كان يسهر على الأمن العام وعلى انتظام المبادلات التجارية ويقوم مقام الوسيط بين السلطات وأهل السوق، امتدت مهامه الى المجال الاقتصادي، وذلك بمراقبة الحرف والبضائع، وجباية الضرائب من أصحاب الجماعات الحرفية مرة كل شهرين، كما يقوم بالفصل في النزاعات كما وجد مساعد لشيخ البلد عرف بالشاوش.⁽⁵⁶⁾

كانت الحراسة في السوق من مهام البسكريين الذين يتمركزون حول الحوانيت ليمنعوا أي حركة بعد سقوط الليل، وكانوا يشرفون على الإضاءة للمحافظة على أمن السوق،⁽⁵⁷⁾ إضافة على الدلالين وهم باعة متجولون داخل الأسواق حاملين بضاعتهم لعرضها على المشترين ولهم نسبة يأخذونها على المبيعات التي كان ينادى عليها تقدر بدرهم واحد عن كل دينار تباع به السلع⁽⁵⁸⁾، كما أشارت بعض المصادر لمهام تنظيمية للسوق فقد ذكر بليسمون Blismon في كتابه الرحبة وهي مكان يتواجد به خوجة القمح كان مكلفا بالعناية والإشراف على توزيعه في المخازن، وكان يرافقه خوجة العرب الذي يسهر على أمن السوق، ويقبض الحقوق على البضائع الداخلة إليها.⁽⁵⁹⁾ و كانت الضرائب التي تفرض على التجار الأجانب عبارة عن رسوم بسيطة لصالح الخزينة، وكانت السلع تخضع للمراقبة، ويشرف على الجباية موظفين يشكلون جهاز الديوانية.⁽⁶⁰⁾

أمين الأمناء: كان يعمل بمثابة الكاتب الخاص للداي، في حين يرى ابن المفتي أن مهامه مراقبة الأسواق وكل ما يخص المكاييل، كما انه المسؤول عن سجلات الحكومة الخاصة بالنشاط الحرفي، وعلى النظام الضريبي، فهو بمثابة السلطة العليا المشرفة على الجماعات الحرفية.⁽⁶¹⁾ يهتم بما يعرض في السوق ويتشاور مع موظفي الديوان، ويسمع ملاحظات وكلاء المهن وأمناء الحرف، كما أن له صلاحية نيابة المحتسب عند غيابه، ويحرض على تطبيق أحكام المجلس الشرعي كأسعار المكوس والرسوم ويسجل ما تم الاتفاق عليه.⁽⁶²⁾

4. خاتمة

في ختام هذا العرض، يتضح أن نظام الأسواق والحرف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني لم يكن مجرد نشاط تجاري عابر، بل كان الركيزة الأساسية التي قام عليها الكيان الاقتصادي والاجتماعي للمدينة. لقد شكلت "القصة" وأزقتها التجارية خلية نحل متكاملة، حيث تداخلت المصالح الاقتصادية مع التنظيمات المهنية الصارمة التي كفلتها "الأصناف" وتحت إشراف "أمين الأمناء." إن التنظيم الحرفي في تلك الفترة تجلت في قدرته على استيعاب التنوع السكاني وصهر المهارات الأندلسية والمحلية والعثمانية، مما أنتج منتجات يدوية (من نسيج، وجلود، ونحاس) نافست في جودتها الأسواق المتوسطية. كما أن التوزيع المجالي للأسواق، الذي راعى طبيعة المهن وقربها من بعضها البعض، يعكس وعياً عمرانياً واقتصادياً متقدماً جعل من الجزائر العاصمة قطباً تجارياً ريادياً في حوض البحر الأبيض المتوسط. وعليه، فإن دراسة هذا الإرث لا تقتصر على سرد تاريخي للمهن المندثرة، بل هي محاولة لفهم الهوية الاقتصادية لمدينة صمدت لقرون بفضل تلاحم حرفيها وتنظيم أسواقها. ويبقى الحفاظ على ما تبقى من هذه الحرف اليوم ضرورة تاريخية وثقافية، لضمان استمرار الذاكرة الحية لمدينة "المحروسة" كشاهد على عصر ذهبي من الرخاء والتمكّن المهني.

5. الهوامش:

- (1) ناصر الدين سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ، 50.
- (2) Diego de Haédo , **Topographie et histoire générale d'Alger** , traduction Monnreau et A . Berbrugger , édition Bouchene , 1998 , p107.
- (3) ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، الطبعة الثانية ، البشائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م ، ص 46 .
- (4) المرجع نفسه ، ص ص ، 46، 47 .
- (5) عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الجزائر، 2001 ، ص 144-145 .
- (6) المرجع نفسه ، ص 150 .
- (7) المرجع نفسه ، ص ص ، 150، 151.
- (9) المرجع نفسه ، ص ص ، 154، 155 .
- (10) المرجع نفسه ، ص ص ، 152، 153 ، 154، 155 .
- (11) Haédo , **op.cit** , p107.
- (12) Venture de Paradis , **Alger au 18 siècle** , 2 édition , édition Bouslama , Tunis , pp16,17 .
- (13) ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، مرجع سابق ، ص ص ، 47، 48 .
- (14) المرجع نفسه ، ص ص ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 .
- (15) ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، البشائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص ص ، 270 ، 271 .
- (16) عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 168
- (18) ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ، مرجع سابق ، ص 247 .
- (19) Venture de Paradis , **op.cit** , p 17 .
- (20) ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ، مرجع سابق ، ص 275 .
- (21) المرجع نفسه ، ص ص 277، 278 .
- (22) ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ، مرجع سابق ، ص ص ، 313-314 .
- (23) Tall Shuval , **La Ville d'Alger vers la fin du 18 siècle** , CNRS édition ,Paris , 1998 , p 132.
- (24) ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ، مرجع سابق ، ص 280 .
- (25) عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص ص ، 181، 182 .
- (26) المرجع نفسه ، ص ص ، 188 ، 191 ، 192، 193، 202 .
- (27) Venture de Paradis, **op.cit** , pp.9-10.
- (28) Dioégo de Haèdo, **op.cit**, P.52
- (29) Shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger**, Marlin édition, Paris, 1830, p.329.

- (30) بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص.137.
- (31) المرجع نفسه، ص.165.
- (32) المرجع نفسه، ص. ص. 168، 169، 178.
- (33) المرجع نفسه، ص. ص. 182، 189.
- (34) المرجع نفسه، ص. ص. 197، 199.
- (35) المرجع نفسه، ص. ص. 202، 203.
- (36) المرجع نفسه، ص. 206.
- (37) المرجع نفسه، ص. ص. 207، 208.
- (38) المرجع نفسه، ص. 178.
- (39) Boyer. P. **L'évolution de l'Algérie**, Paris, 1960, pp.48,50.
- (40) Letourneau. R , **Les villes musulmanes de l'Afrique du Nord, Alger**, 1957, p.22.
- (41) De Grammont. H, **Histoire d'Alger sous la domination Turque**, Paris, 1887 , pp.233-234.
- (42) Boyer, **op.cit** , pp. 48-50.
- (43) De Grammont. H, **op.cit**, pp 133, 134 .
- (44) Raymond. A, **Grandes villes Arabes à l'époque Ottoman**, Paris, 1985, p.195.
- (45) Letourneau. R, **op.cit**, p.22.
- (46) Dioégo de Haèdo, **op.cit**, pp.103-104,106.
- (47) بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، مصدر سابق، ص. ص. 181-182، 195.
- (48) Peyssonnel et Desfontaines, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger** , pub par :
dureau de la Malle, tom1, 1838 , p.458.
- (49) Dioégo de Haèdo, **op.cit**, pp.104,106.
- (50) Dioégo de Haèdo, **op.cit**, p.104.
- (51) Boyer, **op cit**, pp. 48-50.
- (52) بد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر، تح: ناصر الدين سيعدون، دار البصائر، الجزائر، ص. 18.
- (53) بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 197.
- (54) Emerit. M, « **Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque** », in Documents
Algériens, 1952, p. 13.
- (55) Dioégo de Haèdo, **op.cit**, p.104.
- (56) عائشة غطاس، مرجع سابق، ص.97.
- (57) Emerit. M, **op.cit**, p. 13.
- (58) عبد الله بن الشويهد، مصدر سابق، ص.32.
- (59) Blismon, **Notice topographique sur le Royaume de la ville d'Alger**, 2ème édition, Paris, 1830, p.58.
- (60) Venture de Paradis, **op.cit**, pp. 147-149.
- (61) عائشة غطاس، مرجع سابق، ص. ص. 181-182.
- (62) عبد الله بن الشويهد، مصدر سابق، ص. ص. 16-17.